الحياة والذرة

أو

الخلود الجديد

تجمت أبحاث الذرة الشاعر آفاقاً جديدة فتساءل . . . ترى هل يكون البعث بعد الموت بالفناء ذرات الاجسام مرة ثانية ؟ !

أنا حيٌّ في رحاب العيش أحيا بكياني
فإذا حان تمامي خالدٌ طيُّ الزمانِ

في نطاق القبر أحيا جيفةً . . لا من هوانِ
من سديد الجسد البالي مضى في سريانِ
وبخار النتن المكروه ثاوٍ في المكانِ
وحُطام الجثة الملقاة شوهاء المعاني
أبعث الدود وأغنوه دمائي وجناني
وهو ينمو مثلما يُنْمي جنيناً أبوانِ
إن للدود حياةً . . . إن للدود أماني !

فترة تمضي دهورٌ وشهورٌ وثوانِ
فإذا الكلُّ توارى وتلاشى بأوانِ
لا حياةٌ لا رفاتٌ لا دمٌ في شريانِ
قد تلاشت رمةٌ تفرى ودودٌ ثم جانِ
كل شيءٍ فيَّ أوصالٌ وقلبٌ وريدانِ
مسحت كفٌّ عليه بفناءٍ غير فانِ . . . !

لكنَّ الظن . . . بإشعاع العلم فضّاح المعاني
ها هنا بضع ذرّاتٍ تصدّت للزمانِ
هائماتٍ في رحاب الكون ما بين الزمانِ
تلكم الذرات أحياء توارت عن عيانِ

بل هي الذرة أشواقٌ وأحداثٌ تُعاني
وطها قلبُ معنى أبداً في خفقان
تامهُ صبٌّ عميدٌ حوله في دوران
من لظى الوجد استطارت كهرباءً في الكيان
هي تَوّارُ شعاعٍ مستترٌ المنوان
كُتِمتْ نار جواه في فؤادٍ غير وان
إنّ تقصّدْهُ بسهمٍ هبّ مستشرى الجنان
نافثاً هولاً رهيباً . يا طول البُرَكان !

صُدّعتْ أركانه ما بين لمعٍ ودوان
وقضى إلاّ فظايا لحطامٍ من دِنان
مَرَقتْ وسْط رحاب الكون رعناء العنان
تبتغي قلباً من الذرات دفّاق الحنان
لتعيد الحب عهداً ويجنّ العاشقان !

هذه تمّ حياتي أتراني بعدُ فانٍ ؟ !
إنني أفنى فناءً هو بعثٌ لي ثانٍ
ثم أقضي ثم أحيا هائماً في نوران
أترى هذا خلودي ؟ أم تُراه في الجنان ؟
وترى البعثُ التقاءٌ بين ذرات الكيان
منطا آبٍ غريبٌ أو تلاقي النازحان ؟

***

إنْ يكُن هذا... أو استرجعتُ أكوابي وحاني
فأنا في ظلّ هذا العيش أحيا بكياني
فإذا حان مماتي خالدٌ طيّ الزمان ...

القاهرة محمد فهمي